جهود الشيخ الدكتور : محمد محمود حجازي
في التفسير الموضوعي

إعداد : أ . د أحمد عباس البدوي

الشارقة
مارس / 2010م

ملخص البحث :

يشتمل هذا البحث على مقدمة وخاتمة وأربعة مطالب ، تناول المطلب الاول ترجمة للشيخ المؤلف ، والمطلب الثاني تناول جهده العلمي والتعريف بكتابيه التفسير الواضح والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، في حين بيَّن الباحث في المطلب الثالث مفهوم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، نشأته وأهميته، وتناول المطلب الرابع إبرز جهود الشيخ حجازي في الاهتمام بهذا اللون من ألوان التفسير بمسماه العصري، ودعوته لأن يكون التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر ، كل ذلك بلغة سهلة و عبارات واضحة موثقة من مصادرها ، وخاصة كتابي المؤلف :" التفسير الواضح " و " الوحدة الموضوعية في القران الكريم ".

Abstract:

This research aims at highlighting the efforts of sheikh doctor Mohammed Mahmud Hejazi in the Thematic Tafseer Interpretation "for the Holy Quran.

The research involves an introduction, four chapters and conclusion.

The first chapter provided a profile of the sheikh doctor Mohammed Mahmud Hejazi .The second chapter browsed the scientific production of the author , especially his two books" the Clear Tafseer " and " the Thematic unity of the Holy Quran " The third chapter identified the concept of the thematic tafseer for the Holy Quran ,its beginnings and significance .

The forth chapter highlighted the efforts of sheikh Hejazi to draw more attention to the thematic tafseer, and his calls to adopt it to be the main tafseer for this era. All this, in simple language and clear statements, documented from its original references especially the sheikh's two books "the Clear Tafseer" and "the Thematic unity of the Holy Quran" .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمـــــة:

الحمد لله واهب النعم، مزيل الكرب والهم، حمداً كثيراً طيباً كما يُحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد المصطفى الذي ختم الله به الرسل، وأنزل عليه القرآن الكريم فختم به الكتب وجعله مهيمنا عليها ، فبلّغ رسالة ربِّه وأدى أمانة خالقه وأرشد أمته إلى طريق الخير والفلاح وجعلها على المحجة البيضاء فكانت أمة وسطاً بين الأمم كما أراد لها الله سبحانه وتعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

فقد علمت هذه الأمة أن طريق الفلاح والنجاح هو القرآن الكريم ، فأقبلت عليه قراءةً ومُدارسةً و تفسيراً تستهدي به في ظلمات الليالي ، فتعددت طُرق بيانه وألوان تفسيره ، فمن المفسرين من كان عمله مُطولاً ومنهم من كان تفسيره وسطاً ، ومنهم دون ذلك ولكلٍ وجهة هو مُوليها.

إلى أن ظهر في عصرنا لون من ألوان التفاسير عُرف مُصطلحاً بـــ " التفسير الموضوعي " واجتهد كثير من العلماء المعاصرين في بيان هذا اللون من ألوان التفاسير المُختلفة ، وكان لشيخنا الأستاذ الدكتور : محمد محمود حجازي –رحمه الله– جهوداً مقدرة لإبراز هذا النوع من التفاسير في خمسينات القرن الماضي حيث كان يُدرِّس التفسير في جامعة الأزهر ، فألّف كتابه " التفسير الواضح "، ثم أتبعه بكتابه "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ".

فأحببت أن أبرز جهود هذا الشيخ الجليل في التفسير الموضوعي خاصة إني من تلامذته الذين أخذوا عنه التفسير في جامعة أمدرمان الإسلامية في العام الدراسي 1970–1971م حتى يقف الدارس والمُطلع على عمل هذا الشيخ الجليل خاصة في أيامنا هذه التي صار للتفسير الموضوعي مكانة بين مقررات الجامعات الإسلامية ، فصار التفسير الموضوعي مادة تدرس، وأُلفت كتب في بيان المنهج المتبع في هذا كما سنرى ذلك في صفحات هذا البحث الذي استوى بنيانه على مقدمة وأربعة مطالب :

المطلب الأول:التعريف بالدكتور محمد محمود حجازي.

المطلب الثاني: التعريف بمؤلفات الدكتور حجازي.

المطلب الثالث: مفهوم التفسير الموضوعي، نشأته، ومكانته بين ألوان التفسير.

المطلب الرابع: جهود الدكتور حجازي في التفسير الموضوعي من خلال كتابيْه: التفسير الواضح والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

- الخاتمـــة.
- الفهـــارس.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير....

الدكتور: أحمد عباس البدوي.
المدير السابق لمركز الطالبات بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلايمية /أم درمان /السودان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن/جامعة الشارقة
3/ ربيع الأول/1431هـ
الموافق 18/2/2010هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلب الأول: ترجمة الشيخ محمد محمود حجازي

أولاً : نسبه :

هو محمد بن محمود بن محمد بن يوسف بن محمد حجازي الشافعي. كان يلقب بمحمد الذكي.

ولد المُتَرجم له في الخامس عشر من شهر مايو سنة 1914م في قرية (شهبارة منقلا) جنوب مدينة (الزقازيق) بمحافظة الشرقية ، بجمهورية مصر العربية.

ثانياً : نشأته :

نشأ الشيخ حجازي في كنف أبيه ورعايته، الذي كان من أعيان محافظة الشرقية- مدينة الزقازيق حيث تعمل الأسرة أساساً في الفلاحة.

من مناقبه الخلقية – عليه رحمة الله – أنه كان يتميز بأخلاق فاضلة نبيلة مع أهله وعشيرته وأساتذته وأصدقائه وتلامذته، يُعطي كل ذي حق حقه ، ويُنزل الناس منازلهم ، وهو إلي جانب ذلك يتميز بروح عالية وسلوك رفيع مع من سبقه من العلماء عامة وأهل التفسير بصفة خاصة فلا حِدة في تعامله ولا غلظة وإنما أدب جم ونفس متواضعة، حسب ماشهد به شيخه الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي- عليه رحمة الله – وكان مُشرفاً على رسالته التي نال بها درجة الدكتوراة.[1]

ثالثاً: نشأة الدكتور حجازي العلمية :

من خلال تتبع سيرة الدكتور حجازي العلمية نرى أنه قد حفظ القرآن الكريم بقريته (شهبارة منقلا) وهو ابن الثانية عشر من عمره ، تلقى علوم اللغة العربية والتربية الإسلامية بمعهد الزقازيق الديني الأزهري ، ثم انتقل منه إلى معهد دسوق الديني بمحافظة الغربية.

ثم استمر حتى أكمل المرحلة الثانوية بمعهد طنطا الديني الأزهري بمدينة طنطا (عاصمة محافظة الغربية)، وذلك في عام 1935م.

---

[1] انظر منهج الدكتور محمد محمود حجازي في التفسير الواضح " رسالة ماجستير " إعداد : عثمان النور محمد، كلية أصول الدين ، جامعة أمدرمان الإسلامية ، 1988م ، ص62-86.

ثم التحق بالأزهر الشريف – كلية اللغة العربية– حيث أكمل دراسته بالأزهر الشريف عام 1939م، ثم حصل على الشهادة العالية مع إجازة التدريس عام 1943م .

و في عام 1966م نال درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر قسم التفسير وعلوم القرآن.

ثم نال درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى من كلية أصول الدين في 1968/4/15م وكانت الرسالة بعنوان (الوحدة الموضوعية في القران الكريم).

وكانت لجنة المناقشة لرسالة الدكتوراة مكونة من :

- الشيخ محمد أبو زهرة / رئيساً.
- الأستاذ الشيخ محمد علي أبو الروس/ عضواً.
- الأستاذ الشيخ أحمد السيد الكومي/ مشرفاً.

وهكذا توِّج الدكتور حجازي عمله الأكاديمي بالحصول على درجة الدكتوراة ، ولكنه صاحب همة عالية ورسالة دعوية سامية ، فكان هذا العمل الأكاديمي دافعاً له للبحث والتنقيب وبث الهمم بين الناس، وخاصة طلبة العلم الذين أقبلوا على الأخذ عنه كما سنرى لاحقاً في هذا البحث.

رابعاً: الشيوخ الذين تلقى عنهم وتأثر بهم :

تلقى الشيخ محمد محمود حجازي معارفه وعلومه عن كثير من أهل العلم في زمانه، وفي مقدمة هؤلاء الأعلام :

- والده الشيخ محمود بن محمد بن يوسف حجازي، حيث حفظ عليه القرآن الكريم وهو في الثانية عشر من عمره.
- خاله الشيخ أمين محمد حسن، وكان من كبار علماء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين ويعمل معلماً بالمعاهد الدينية الأزهرية بمحافظة الشرقية، الذي دفع به إلى المعاهد الدينية بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم.
- الشيخ محمد الأحمدي بن إبراهيم ، الفقيه المصري، الشافعي، الذي عُين شيخاً للأزهر سنة 1929م.
- الشيخ محمد مصطفي المراغي، المولود عام 1881م بمراغة من أعمال جرجا بصعيد مصر الذي تتلمذ علي يد الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في زمانه، وتولي الشيخ المراغي القضاء في

السودان، ثم عُين بعد ذلك في مناصب قضائية عالية في مصر، وتولي بعدها مشيخة الأزهر سنة 1928م وهو من علماء التفسير، وله مؤلفات في التفسير تميزت بسهولة ألفاظها ووضوح معانيها، وجردها من ذكر الإسرائيليات، وقد سار الشيخ محمد حجازي على نهجه في كتابه (التفسير الواضح) حيث ابتعد به عن الخوض في المبهمات وتجنب ذكر الإسرائيليات[1] كما سنرى لاحقاً في هذا البحث.

- ومن الأعلام الذين تتلمذ عليهم الشيخ محمد أبو زهرة، خاصة في مجال التفسير .
- ومنهم الشيخ الدكتور أحمد السيد الكومي ، ...وغيرهم .[2]

خامساً : نشاطه العلمي :

وأقصد به نتاجه العلمي المطبوع والمخطوط، وعلى رأس هذا النتاج :

1. التفسير الواضح، ويقع في ثلاثة مجلدات، والطبعة التي بين يدي هي الطبعة العاشرة ، مما يدل على أن هذا الكتاب وجد قبولاً بين طلبة العلم، خاصة أهل التفسير .
2. الوحدة الموضوعية في القران الكريم، والذي نال به درجة الدكتوراة .
3. الأحاديث المختارة في الصحيحين، شارك في تأليفه مع لجنة مختارة من علماء الأزهر .
4. القصص القرآني، وهو كتاب مخطوط على حسب علمي .

سادساً : رحلاته الشيخ حجازي العلمية:

انتدب الشيخ محمد حجازي إلى العمل بمعهد القضاء العالي بالرياض بالمملكة العربية السعودية في عام 1969م ولمدة عام واحد أي في العام الدراسي 1970/1969م مُدرساً لمادة التفسير وعلوم القرآن.[3]

ثم جاء الشيخ محمد حجازي إلى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان في بداية العام الدراسي 1971/1970م قد سبقه إليها عدد من علماء الأزهر أمثال : الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبه ، والشيخ الدكتور يوسف عبد الرحمن الضبع ، والأستاذ الدكتور سليمان دنيا ،...رحمهم الله جميعاً.

وكان لهؤلاء العلماء الأجلاء صدى واسعاً ليس في أروقة الجامعة وقاعاتها، بل في المجتمع السوداني خاصة في أندية العاصمة المثلثة (أم درمان، الخرطوم، الخرطوم بحري) ومدن أقاليم السودان كمدن:

---

[1] المرجع السابق ، ص62-86.
[2] انظر اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، فضل حسن عباس ، ج 1 ، ص 214.
[3] منهج الدكتور محمد محمود حجازي في التفسير الواضح، مرجع سابق، ص62-86.

مدني ، و بورسودان ، والأَبَيِّض . ينشرون العلم ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، إضافة إلى نشاطهم عبر أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة .

وقد كنت طالباً بالسنة الرابعة بكلية ،أصول الدين عند مجيء الدكتور محمد حجازي إلى جامعة أمدرمان الإسلامية ، حيث كان أستاذاً لمادة التفسير، وأذكر جيداً أننا درسنا عليه سورتي" الصافات وص" وكان مرجعنا كتابه التفسير الواضح ، وقد لاحظت عليه عطاءه المميز في التفسير ، ثم كان لي شرف التلمذة الخاصة عليه ، حيث أشرف على بحث التخرج الذي تقدمت به وكان بعنوان : (سمات القرآن المكي والمدني) وقد ذلل لي كثيراً من الصعاب التي واجهتني ، وأذكر أنه كانت له توجيهات مُفيدة أثناء الدرس ، وكان يذكر لنا عبارة " بدي تكبروا" تشجيعاً للطلاب على الاجتهاد في طلب العلم ، وقد نفع الله بعلمه وتشجيعه هذا لنا ، واللافت للنظر أن هذه الدفعة التي درسها الشيخ مادة التفسير هي دفعة العام 1971/1970م وعددهم خمسة وأربعون طالباً ، وقد أكرم الله تعالى أحد عشر طالباً منهم بالحصول على درجة الدكتوراة ، منهم من نالها في التفسير وعلوم القرآن ومنهم من كان تخصصه في الحديث وعلومه ، وأنا أذكرهم الآن وهم – بحمد الله – على قيد الحياة يُؤدون واجبهم في نشر العلم كلٌ في تخصصه ، وهم :

الدكتور: أحمد عباس البدوي.

الدكتور: أحمد علي الإمام.

الدكتور: الأمين محمد الأمين .

الدكتور: صديق محمد مقبول.

الدكتور: الحاج أحمد محمد سمساعة.

الدكتور: الشريف المدثر الرضي.

الدكتور: الطاهر محمد الدرديري.

الدكتور: عبد الله محمد خير.

الدكتور: محمد عوض الكريم الشيخ الدوش .

الدكتور: حسن إمام عبد المجيد

الدكتور: الحاج الزبير أبو علامة .

هؤلاء العلماء الأجلاء تتلمذوا على فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمود حجازي رحمه الله .

وقد يكون هناك غيرهم مَن نال درجة الدكتوراة ،ولكن هؤلاء الذين عرفتهم وعملتُ معهم وعلى صلة بأخبارهم التي تسر ، كيف وهم من العلماء ورثة الأنبياء .

هذا إضافة إلى جهود الشيخ حجازي في خدمة المجتمع من خلال محاضراته في دور العلم في العاصمة السودانية وفي أجهزة الإعلام، وبعد تخرجنا كنتُ على صلة بالشيخ لتلقي المزيد من دروس العقيدة.

سابعاً: وفـــاتـــــه :

توفي الشيخ محمد محمود حجازي في أوائل عام 1972م، وقد احتشد طلابه وزملاؤه في داره بالخرطوم لأداء العزاء، يُعزي بعضهم بعضاً، ويتداولون مناقبه العطرة، إلى أن شيعنا الجثمان الطاهر في من مطار الخرطوم حيث غادر إلى مطار القاهرة، ودفن بمدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية، رحمه الله رحمة واسعة .

المطلب الثاني

التعريف بمؤلفات الدكتور حجازي

أولاً : كتاب التفسير الواضح :

- وصف الكتاب :

يقع التفسير الواضح في ثلاثة مجلدات، يبدأ المجلد الأول من سورة الفاتحة وحتى الآية 92 من سورة التوبة، والمجلد الثاني من أول الجزء الحادي عشر أي من الآية 93 من سورة التوبة حتى الآية 45 من سورة العنكبوت، ويبدأ المجلد الثالث من الآية 46 من سورة العنكبوت وحتى سورة الناس .

- سبب تأليف الكتاب :

سبب تأليف هذا الكتاب بيَّنه المؤلف في مقدمته حيث يقول : (فقد سعد كثيرون من القدامى والمحدثين بالتصدى للكشف عما في الكتاب الكريم من معان وأسرار بلغت الذروة في الكمال ونحا كل منهم نحوا يغاير الآخر : فمن باحث عن الوجوه البلاغية إلى مفصل للأحكام الشرعية إلى ذكر بدائع لغوية وتراكيب تأخذ بالألباب ، إلى محدث عن القراءات ووجوهها ، إلى غير ذلك مما لا يكاد يحيط به الحصر ، أطال هؤلاء الأعلام حتى كان كلامهم مراجع وموسوعات ، كالفخر[1] والآلوسي[2] والطبري[3]، ومنهم من اتجه ناحية الإيجاز والاختصار فكان كلامه أشبه بالبرقيات حتى أنه قد يترك ربط الآية ومناسبتها وما تمس إليه الحاجة كالشيخين الجليلين المحلى والسيوطي ومن ألف إلفهما).[4]

ثم أثنى على عمل هؤلاء العلماء الأعلام ، فقال: (أقل ما نقوله فيهم أن الله أيدهم بروح من عنده حتى يسهل فهم كلامه ، وغاية ما نصل إليه أن نفهم كلامهم ونقف على إشاراتهم ، وسبحان من اتصف بالكمال، والشيء الجديد في هذا العصر كثرة التعليم والمتعلمين، وتشعب أنواع تعليمهم فأدى هذا إلى أمرين : تشعب البحوث من هؤلاء في علاقة الناس بعضهم ببعض حتى كثر الخلاف بين الناس في تفهم القانون الذي وضعوه ، و الأمر الثاني : أن أكثر الناس اتجهوا إلى القرآن الكريم وكأنهم سئموا هذا

---

[1] محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري. فقيه ومفسر ، له العديد من المصنفات ، منها : التفسير الكبير ، و المحصول في أصول الفقه، و شرح الأسماء الحسنى ، توفي سنة 606هـ. وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تح:إحسان عباس ، ج4، ص248، دار صادر ،يروت.

[2] محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر و محدث وفقيه ، من تصانيفه : تفسيره روح المعاني . معجم المؤلفين، عمر كحالة ،ج12،ص175 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

[3] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، صاحب صاحب التصانيف الكثيرة ، منها : تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن ، وكتاب تاريخ الأمم والملوك ، توفي سنة 310هـ. وفيات الأعيان ،مرجع سابق، ج1،ص16.

[4] التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، مج1، ص5 ،ط10 ، دار الجيل ، بيروت ، 1993م.

التخبط الشائن والاضطراب المعيب ، ورأوا بأنفسهم أن القوانين الوضعية لم تفلح في منع الجرائم وفي الحفاظ على الحقوق).[1]

ثم قال: (أليس القرآن هو الدستور الذي أنقذ الأمة العربية من جاهلية حمقاء إلى أمة إسلامية لها كيان معترف به ولها عزة وحضارة وعلم).[2]

وبعد أن بيَّن أن القرآن الكريم يُسعد الناس في حاضرهم ومستقبلهم، ولم يترك شأناً فيه خير لهم إلا قال غيه وفصَّل القول بما لا يدع شبهة المبطل أو ادعاء المتطاول ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارً ﴾ [الإسراء:82]

ويزيد القارئ إيضاحاً في سبب تأليف هذا الكتاب بقوله : (وبعد : فهذا هو القرآن الكريم، بل هو الهدى والنور، كتبتُ شرحه بلغة سهلة واضحة لا تعمق فيها ولا إبعاد، خالية من الاصطلاحات العلمية الفنية، تفسر للشعب كل ما فيه من صوغ المعنى الإجمالي للآية ، بلغة العصر، مع البعد عن الحشو والتطويل والخرافات الإسرائيلية، والاعتدال في الرأي ، فلم يهدم كل قديم ، ولم يرفع كل جديد « وإن يكن لكل فارس كبوة »)[3]

وعلى هذا فقد بيّن الشيخ محمد حجازي – رحمه الله – سبب تأليف هذا الكتاب ، وهو بعده عن الاصطلاحات الفنية ، والاستطرادات اللغوية ، والبلاغية ، والبعد عن الروايات الإسرائيلية، وعليه يكون هذا التفسير كما يراه المؤلف تفسيراً للشعب عامة يُركز على المعنى الإجمالي للنص القرآني بلغة العصر ، مع البعد عن الحشو والتطويل ، ومادام قد وضح منهجه فيه علينا أن ننظر مدى التزامه بهذا المنهج ، وقبل ذلك لابد من بيان تاريخ بداية هذا العمل العظيم .

– بداية تأليف كتاب التفسير الواضح :

يقول الشيخ الدكتور محمد محمود حجازي – رحمه الله – مُخبراً عن بداية العمل في هذا التفسير: (لقد بدأت في إخراج كتاب التفسير الواضح للقرآن الكريم عام 1951م وانتهيت منه عام 1955م ، والحمد لله قد طُبع طبعات عدة واستقبله المسلمون في كل مكان بصدر رحب متجاوزين عما فيه من زلة قلم أو هفوة خاطر...)[4]

---

[1] المرجع السابق ، مج1، ص5-6.

[2] المرجع السابق ، مج1، ص6.

[3] لمرجع السابق ، مج1، ص6.

[4] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، محمد محمود حجازي ، ص28-29 ، ط1 ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

نعم؛ لأنه كان يدرس هذا التفسير لطلبته حتى عندما كنا ندرُس عليه مادة التفسير في الجامعة كان هذا الكتاب – التفسير الواضح – هو المقرر علينا.

وكون الكتاب وجد قبولاً من المسلمين فهذه حقيقة ، حيث إن الطبعة التي بين يدي الآن هي الطبعة العاشرة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

– تأثره بمن سبقه من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده :

ذكرنا فيما مضى من منهج الشيخ محمد حجازي – رحمه الله – أنه قال : (كتبتُ شرحه بلغة سهلة واضحة لا تعمق فيها ولا إبعاد ، خالية من الاصطلاحات العلمية الفنية ، تفسر للشعب كل ما فيه من صوغ المعنى الإجمالي للآية ، بلغة العصر، مع البعد عن الحشو والتطويل والخرافات الإسرائيلية).[1]

وهذا هو المنهج نفسه الذي ذكره قبله الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، حيث يقول: (إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسير تتجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل من أجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح).[2]

فمنهج الشيخ محمد رشيد رضا يقوم على عدم التقيد بأقوال من سبقه من المفسرين ،وعدم الخوض في ذكر المبهمات والإسرائيليات ، وهذا بعينه هو الذي فعله الشيخ حجازي في تفسيره هذا ، ألم يكن تلميذ الشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ المراغي تلميذ الشيخ محمد عبده رحمهم الله جميعاً !

– طريقــته في التــفسير :

يثبت النص القرآني الذي يريده لتفسيره، وهو عبارة عن مقطع من مقاطع السورة، ويجعل له عنواناً من أبرز موضوعات المقطع، ثم يشرح مفردات الكلمات التي يرى أنها تحتاج إلى شرح، ثم بعد ذلك مباشرة يدخل في بيان المعنى، وهو في الغالب يذكر المعنى الإجمالي، وربما تطرق في بعض الأحيان إلى ذكر سبب النزول وربما ذكر أيضاً المناسبة بين المقطع السابق ولاحقه ،...وهكذا، ولنأخذ مثلاً تفسيره للآية الثالثة من سورة البقرة وحتى الآية الخامسة من السورة نفسها ،حيث يضع لهذا المقطع عنواناً وهو " المتقون وجزاؤهم" ، ثم يورد النص القرآني ويبدأ في تفسيره ، فيقول :

المتقون وجزاؤهم [سورة البقرة (2) : الآيات 3 الى 5]

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما

---

[1] التفسير الواضح ، مرجع سابق ، مج1، ص6 .

[2] تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ج1،ص10 ، ط2 ، دار المنار ، القاهرة.

أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) ﴾

المفردات :

الإيمان : هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها، وسلامة العمل.

بِالْغَيْبِ : ما غاب عنهم من حساب وجزاء وجنة ونار وغير ذلك.

يُقِيمُونَ الصَّلاةَ : إقامتها : الإتيان بها مقومة معتدلة كاملة ، والمقصود استيفاء أركانها وشروطها.

يُوقِنُونَ اليقين : هو الاعتقاد الذي لا يقبل الشك.[1]

ثم بعد ذلك يكرر المعنى الإجمالي للنص القرآني فيقول :

(إن الله سبحانه وتعالى يكشف عن صفة المتقين الذين ينتفعون بالقرآن وهديه فيقول : هم الذين يؤمنون بالأمور الغيبية متى قام الدليل عليها، ولا يقفون عند الماديات والمحسوسات، يؤمنون بما وراء المادة ، وهؤلاء يسهل عليهم فهم القرآن والانتفاع به؛ لأن نور الإيمان شع في قلوبهم فامتلأت طاعة ورحمة ، ولذا كان من صفاتهم إقامة الصلاة إذ هي مظهر الطاعة، وإقامة الصلاة : الإتيان بها كاملة مقومة بشروطها وآدابها فالصلاة عبادة بدنية وروحية لا عمل بدني فحسب. وإقامتها : عبارة عن استيفاء ناحيتي البدن والروح.

والإنفاق في سبيل الله من زكاة وصدقة مظهر من مظاهر الرحمة بالإنسان، وركن مهم جدّا من أركان الإسلام كالصلاة التي هي عماد الدين، فالزكاة أساس بناء المجتمع كما أن الصلاة أساس بناء الفرد.

وهم الذين يؤمنون بالله وما أنزل عليك، وما أنزل على من قبلك من الأنبياء والمرسلين، وآمنوا كذلك بالآخرة إيمانا يقينا لا شبهة فيه ولا شك.

ولا غرابة في أن يكون هؤلاء ذوى مكانة عالية عند الله يشار إليهم ، متمكنين من هدايته، وأولئك البعيدون في مرتبة الكمال هم الفائزون في الدارين).[2]

أوردت هذا النص بأكمله لأبيِّن أن هذا هو المنهج المضطرد الذي اتبعه المؤلف رحمه الله في تفسيره "التفسير الواضح" فليرجع إليه من أراد الاستزادة .

---

[1] التفسير الواضح ، مرجع سابق ، مج1، ص14-15 .

[2] المرجع سابق ، مج1، ص14-15 .

ثانياً : كتاب الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم :

– وصف الكتاب :

يقع الكتاب في مجلد واحد، ويتكون من "415" صفحة من القطع المتوسط.

وأصل الكتاب رسالة دكتوراة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

يقول رحمه الله في تقديمه لهذا الرسالة :

(فهذه رسالة أقدم بها إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر لنيل الدكتوراة، والحق يُقال إنني لست من رجال هذه الأبحاث الدقيقة العميقة المتصلة بالقرآن الكريم، ولكنها محاولة دفعني إليها حب البحث في كل ما يتعلق بكتاب الله، فإن أصبت فذلك الفضل من الله، وإلا فهي محاولة والله يهدي إلى الحق وهو نعم المولى ونعم النصير).[1] إنه تواضع العلماء الربانيين وإخلاص الدعاة إلى رب العالمين .

– سبب وزمان تأليف هذا الكتاب :

يقول المؤلف في مقدمة الطبعة الأولى لهذا الكتاب: (...ولقد راعني وأنا أكتب " التفسير الواضح " هذا النسق العجيب في سور القرآن وترتيبها في المصحف ، فهذه سورة مدنية بجوار سورة مكية ، وهذه سورة مدنية وسط عدد من السور المكية ،...وهكذا، وإذا نظرت إلى نفس السورة وآياتها تجد العجب العجاب، تجد السورة وقد جمعت آيات متعددة ، وإن تكن متناسقة ومتلائمة، لكنك تجد السورة تتحدث عن موضوع خاص، فإذا قرأت غيرها تجدها تتحدث هي الأخرى عن نفس الموضوع ولكن بشكل خاص ونسق يلتئم مع جو السورة التي قبلها، هذه الظاهرة استدعت البحث والنظر، أما السابقون فخلصوا من هذا بالقول بالنسخ، فالآية المتأخرة نسخت الآية المتقدمة، وهكذا وأما نحن فقد هدانا الله إلى القول بنظرية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

لهذا كانت تلك النظرية جديدة على الأسماع فرفضها البعض وحاول منع نقاشها بجامعة الأزهر، ولكن الحق يظهر دائماً، ولابد أن يبدو الصبح لذي عينين، وأما المنصفون المعتدلون فقد طالبوا بالدليل والبيان وضرب الأمثلة مع الحجة والبرهان).[2]

فسبب تأليفه لهذا الكتاب نتاج لمعايشته للقرآن الكريم أثناء تفسيره للقرآن الكريم من خلال تأليفه لكتاب " التفسير الواضح ".

---

[1] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص8 .

[2] المرجع السابق ، ، ص5-6.

وقد كان ذلك في عام 1951م كما تقدم ذكره ، فكانت نظرية "الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم" لذا فإن الدكتور محمد محمود حجازي –رحمه الله– رائد هذا المصطلح العلمي المسمى بالتفسير الموضوعي ، بدليل أن بعض علماء الأزهر رفضوا هذه النظرية لحداثتها، ولكن الله قيّض لها علماء فاستجابوا بعد ذكر الأدلة والبراهين وعلى رأسهم الشيخ العلامة محمد أبو زهرة الذي ناقش هذه الرسالة ، والعلامة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي المشرف على هذه الرسالة .

وكون الدكتور حجازي –رجمه الله– رائد علم التفسير الموضوعي – كما سنبيِّن ذلك في المطلب الرابع إن شاء الله –فهذه حقيقة وجهد يُشكر عليه، ففي سبيل انتصاره للتفسير الموضوعي كادت رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة أن تلغى من قبل بعض علماء الأزهر، ولكن بلطف الله وتوفيقه ظهر هذا الحق جلياً .

هذا وقد بنى المؤلف هذا البحث على أربع دعائم ، وهي كالآتي :

الدعامة الأولى : تكرار الموضوع الواحد في القرآن الكريم .

الدعامة الثانية : ذكر الموضوع غير تام في السورة .

الدعامة الثالثة : كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها من جميع السور التي تكرر فيها الموضوع .

الدعامة الرابعة : عدم كمال الوحدة الموضوعية لكل سورة ذكر فيها الموضوع .

ونذكر بعض الأمثلة لنرى جهده في إثبات التفسير الموضوعي في المطلب الرابع من هذا البحث إن شاء الله .

المطلب الثالث:

التعريف بالتفسير الموضوعي وبيان أهميته.

أولاً : التعريف بالتفسير :

التفسير في اللغة : هو الإيضاح والبيان ، قال ابن فارس: " الفسْر كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول : فسَرت الشيء وفسَّرته "[1]

وقال أحمد بن منظور في لسان العرب : " الفَسْر : البيان ، يُقال : فسَر الشيء وفسَّره أي أبانه ، والفسر كشف المغطى، والفسر البيان، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل "[2]

والتفسير في اصطلاح العلماء وردت فيه آراء مختلفة وتفاسير متعددة، ونحن نجتزء منها قول بعضهم: " علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " .[3]

ثانياً : التعريف بالموضوع :

في اللغة : مُشتق من الوضع ، والوضع : جعل الشيء في مكان ما ، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض ، أم بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ".[4]

فهو بهذا اشتمل على المعنييْن الحسي والمعنوي .

فالأول : يُفيد الوضع على الأرض بمعنى الحط والإلقاء ، والثاني : وضع معنوي بمعنى الوضيع و المهين ، وهو الذليل الذي قعدت به همته أو نسيه ، فكأنه ملقى إلى الأرض موضوع عليها .

" والمعنيان يلتقيان في البقاء في المكان وعدم مغادرته، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى مُعين وموضوع محدد من موضوعات القرآن الكريم ، يبقى معه ولا يتجاوزه إلى غيره، حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به " .[5]

أما الموضوع اصطلاحاً: " محل الوضع المختص به، وقيل هو الأمر الموجود في الذهن، وموضوع كل علم:ما يُبحث فيه عن عوارضه الذاتية،كالكلمات لعلم النحو،فإنه يُبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء ..."[6]

---

[1] معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي (ت: 395هـ) ، دار الجيل ، بيروت .

[2] المجلد الخامس ، ص55 ، دار صادر ، بيروت .

[3] مناهل العرفان ، عبد العظيم الزرقاني ، ج2 ، ص7 ، ط ، المكتبة العصرية ، بيروت .

[4] معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج6 ، ص117.

[5] مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، ص15 ، ط1 ، دار القلم .

[6] التعريفات ، الشريف الجرجاني ، ص236 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

أو هو أمر من الأمور المختلفة التي يعرض لها الباحث كموضوع: " اليتامى في القرآن الكريم " أو موضوع " البعث بعد الموت في القرآن الكريم ".... وهكذا.

والتفسير الموضوعي من حيث المسمى : هو مصطلح عصري ، وقد تعددت تعاريف الباحثين في هذا المجال بعد أن أصبح لوناً من ألوان التفسير ومنهجاً جديداً لتفسير كتاب الله تعالى .

على هذا فيمكن تعريفه بأنه: " علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر أو موضوعاً من موضوعات سورة معينة، كأن يتناول باحث موضوع" أحوال المنافقين في سورة البقرة – دراسة موضوعية "

إن التفسير الموضوعي علم له قواعد وأسس وأصول، ومنهج وطريقة يلزم بها الباحث نفسه.

يقول الدكتور صلاح الخالدي مُبيناً الخطوات التي يجب أن يتتبعها الباحث في الموضوع الذي يريد علاجه من خلال النصوص القرآنية: " يقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد أو مصطلح واحد من مختلف السُّور أو في سورة واحد، سواء أكانت هذه الآيات تتحدث عن " المصطلح نفسه " أو تتخذ عن مصطلحات أو ألفاظ مقاربة له ،...وبعد ذلك يقوم الباحث بتفسير هذه الآيات تفسيراً موضوعياً وليس تفسيراً تحليلياً ، وذلك حسب المقاصد القرآنية ، ليُحقق مقاصد القرآن وأهدافه الأساسية ببحثه الموضوعي في تلك الآيات " .[1]

– نشأة التفسير الموضوعي و أهميته :

ذكرنا في مامضى أن التفسير الموضوعي هو بيان لآيات القرآن الكريم ، وذلك بجمع الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً من مُختلف السور، أو سورة واحدة .

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد أناط برسوله محمد صلى الله عليه وسلم بيان القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:44]

وقد ورد أنه لما نزل قول الله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:82] شقَّ ذلك على المسلمين ، فقالوا: يارسول الله فأيُّنا لايظلم نفسه؟ فقال: " ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يابني لا تُشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم".[2]

فهذا يدل على أن هذا اللون من ألوان التفسير قد نشأ مع نزول القرآن، غير أنه لم يأخذ مصطلح التفسير الموضوعي إلا حديثاً .

---

[1] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، صلاح الخالدي ، ص30 ، دار النفائس ، عمّان ، 1997م.

[2] صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة "ج 6 ، ص465 ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

- أهمية التفسير الموضوعي :

تكمن أهمية التفسير الموضوعي في أن كثيراً من علماء التفسير المعاصرين اتفقوا على أهمية هذا الاتجاه في البحث ، وقدَّروا الفوائد العظيمة المرجوة منه ، والحاجة الماسة إليه ، يقول الدكتور مصطفى مسلم : " إن تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية، وانفتاح ميادين للنظريات لعلمية الحديثة لا يُمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم".[1]

وعلى ما تقدم يُمكن القول بأن التفسير الموضوعي هو تفسير العصر الذي نعيشه ، كما هو تفسير المستقبل ؛ لأن من العوامل الأساسية لحل مُعضلات المسلمين المعاصرة في أي مكان وًجدوا ، وتقديم الحلول لها من خلال الهدايات القرآنية المتجددة على مر العصور والأزمان ، إضافة إلى فوائد عديدة يُحققها لكل المسلمين من حيث صلتهم بالقرآن الكريم وتعرفهم على مبادئه وخصائصه ، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم ، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم ، كما يُفيد في عرض القرآن الكريم على الآخرين والوقوف أمام الأعداء والمخالفين .[2]

إذا كان هذا جزء من مفهوم التفسير الموضوعي، فإنه ينشأ سؤال عن صلة التفسير الموضوعي بألوان التفسير الأخرى ؟

لا يُمكن للناظر في ألوان التفسير المتنوعة أن يفصل بينها فصلاً كاملاً بحيث تنقطع كل وشائج القربى بينها ، ويكون لكل لون مجاله وأسلوبه ونتائجه ؛ ذلك لأن مجال البحث واحد وهو : كتاب الله عز وجل ، كما أن غاية البحث واحدة وهي الفهم الدقيق للقرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية، لكن يمكن القول بأن مناهج المفسرين لتلك الغاية العظيمة هي التي تختلف اختلاف تنوع وليس اختلاف تباين ، بل نجد أن التفسير الموضوعي هو الأساس لكل ألوان التفسير؛ لأنه بيان القرآن للقرآن، وفي هذا يقول السيد محمد باقر الصدر : (إن التفسير الموضوعي في المقام هو: أفضل الاتجاهين في التفسير[3] إلا أن هذا لا ينبغي أن يكون مقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزئي ، وهذه الأفضلية لا تعني استبدال اتجاه باتجاه وطرح التفسير التجزئي رأساً والأخذ بالتفسير الموضوعي ، وإنما إضافة اتجاه إلى اتجاه ؛ لأن التفسير الموضوعي ليس إلا خطوة إلى الملم بالنسبة إلى التفسير التجزئي، ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزئي باتجاه التفسير الموضوعي، إذن فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال، وإنما مسألة ضم

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي ، مرجع سابق ، ص30 .

[2] المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر ، ص9 ، ط ، دار المعارف ، بيروت .

[3] لأنه قسّم التفسير إلى اتجاهين : 1- الاتجاه التجزئي 2- الاتجاه التوحيدي .

الاتجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتجاه التجزئي ، ويعني افتراض خطوتيْن : خطوة في التفسير التجزئي ، وخطوة في الموضوعي).[1]

وعلى هذا يمكن القول إن أنواع التفسير متساندة فيما بينها ولا يمكن للمفسِّر أن يستغني بنوع من التفاسير عن الأنواع الأخرى؛ لأنه كما يقول الدكتور مصطفى مسلم: (الأنواع الأخرى من التفسير هي اللبنات الأولى والمادة الأولية للتي يُريد إقامة بنيان تفسيره الموضوعي عليها).[2]

---

[1] المدرسة القرآنية ، مرجع السابق ، ص9-13 و ص37-38 .

[2] مباحث في التفسير الموضوعي ، ص54 .

المطلب الرابـــع

جهود الدكتور محمد محمود حجازي في التفسير الموضوعي من خلال كتابيْه: التفسير الواضح ، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

ذكرنا في المبحث الثّاني أن الشيخ محمد محمود حجازي –رحمه الله – قد لفت نظره وهو يكتب "التفسير الواضح" النسق العجيب في سور القرآن الكريم وترتيبها ، وكيف أن السورة الواحدة قد جمعت آيات متعددة تتحدث عن موضوع واحد مما جعله يخرج بنظرية " الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم".

وقد طبّق هذا في كتاب التفسير الواضح بشكل ملحوظ واضح ، حيث إنه في تفسيره هذا كان يُعنون لكل آيات من السورة بحسب موضوعها ، بمعنى آخر ، كأن يقسم إلى مقاطع كل مقطع يتناول موضوعاً واحداً ، ولنبين ذلك بمثال ؛ لأنه بالمثال يتضح المقال .

القرآن من عند الله

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [النساء:82]

بعد بيان معاني المفردات فيها ، أخذ في بيان المعنى الإجمالي ، يقول رحمه الله : (أعمى هؤلاء عن حقيقة الرسالة وكنه الهداية فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ ولو كان هذا القرآن الذي هو عماد الدعوة المحمدية من عند غير الله بأن كان من عند محمد بن عبد الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً في نظمه من جهة البلاغة،...والقرآن فيه الإخبار عن الماضي الذي لم يشاهده محمد بن عبد الله ولم يتيسر له أن يقف على تاريخه ، وعن الحاضر والمستقبل ، و فيه الحديث عن الاجتماع ونواميس العمران وطبائع الإنسان مع ضرب الأمثال والقصص ،...)[1]

وزيادة في البيان على أنه سلك في هذا الكتاب – التفسير الواضح – مسلك التفسير الموضوعي ، نجده قد قسّم السورة إلى موضوعات ، انظر أيها القارئ الكريم إلى فهرسة كل سورة ، تجددها تحت موضوعات مثل سورة " نون والقلم " فقد عنون موضوعات هذه السورة بـــ " محمد رسول الله ، الحلف على الله ، قصة أهل الجنة ومغزاها ، مناقشة المكذبين وتهديدهم " ثم ختام السورة ، وهكذا في سور القرآن الكريم كلها ، فهو يعيش ويُطبِّق نظرية الوحدة الموضوعية في الكريم عملياً ، فهو يرى أن سور القرآن كلها مرتبط بعضها ببعض في تنسيق تام، ويعيب على من يدعي أن هذا الكتاب –القرآن الكريم–

---

[1] التفسير الواضح، مج1 ، ص403.

لم يأت على نسق الكتب الموضوعية، انظر إليه حيث ينقل هذه الدعوة الباطلة : (إنما كان القرآن مشتملاً على عدة سور ، كل سورة منه احتوت على آيات متعددة ، كل آية في غرض، فهذه للوعظ، وتلك للزجر، وهذه قصة وأخرى لحكم من الأحكام، وأخرى لوصف الجنة أو النار، وهكذا لا تجد رباطاً يربط بين الآيات، ولا تجد عرضاً جامعاً يجمع الشتات).[1]

ثم بعد ذكره لهذه الأفكار رد عليها قائلاً: (وتلك لعمري أفكار الصبيان أو أفكار المردة من الشياطين الذين اتخذوها سهاماً للطعن على القرآن الكريم).[2]

وقد ذكر في هذا المجال بعض علماء المسلمين الذين قالوا بذلك ولكنه حمل عملهم هذا على حسن قصد منهم، حيث قال: (وقد ذهب بعض علماء المسلمين – عن حسن قصد – إلى هذا ورأوا أنه لا ترتيب بين آيات القرآن ، وبالتالي لا ترتيب بين السور ، وحكموا على ذلك أنه ليس عيباً فيه).[3]

وممن رأى هذا من القدامى عزالدين بن عبد السلام[4] حيث قال في كتابه مجاز القرآن: (إن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ولكن يشترط ذلك إذا وقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان من مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل عن نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة ، و ما كان كذلك لا يتأتّى في ربط بعضه ببعض).[5]

ثم تبع هذا ورد عليه بعد أن بيّن أن هذا الكلام شجع بعض المستشرقين وغيرهم فتبجحوا وعدوا هذا عبثاً في القرآن ، وزعموا أنه ليس من عند الله بل من وضع النبي محمد .

فقال: (أما الرد السريع على نباح هؤلاء فهو أن القرآن الكريم حينما نزل على العرب بلغة العرب وهم أعلم الناس بلغتهم ، وتحداه تحدياً صارخاً بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة ، وقال لهم في تحدٍ "لن تفعلوا" ومع هذا عجزوا عجزاً تاماً ، تحداهم بأقسى عبارة لهم وفتح لهم الباب إلى أقصى الحدود ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ومع هذا عجزوا ، ثم وصفوه كما

---

[1] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص13.

[2] المرجع السابق ، ص13.

[3] المرجع السابق ، ص13.

[4] هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء ،فقيه شافعي ،وُلد ونشأ بدمشق ، وتوفي سنة660هـ ، من كتبه :التفسير الكبير، الإلمام في أدلة الأحكام ،...وغيرها. فوات الوفيات ، محمد شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، ج 2،ص350 ، ط2، دار صادر ، بيروت ، 1974م.

[5] مجاز القرآن ،عزالدين بن عبد السلام ، تح: مصطفى محمد حسين الذهبي ، ص515 ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ،1999م.

قال الوليد بن المغيرة بعد ما فكّر وقدّر ثم نظر وبسر ثم أدبر واستكبر ، فقال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ هذا وصفهم للقرآن وهم أعداء النبي والقرآن).[1]

وبعد نقاش مستفيض لهذه الآراء التي سماها "نباحاً" قال : (والحقيقة العلمية إن القرآن في ترتيب آياته وسوره كما في المصحف لم يخل من أسرار وحِكم وإن خفيت على البعض رغم أنه نزل مفرقاً في نيّف وعشرين سنة لظروف وملابسات ، حقاً إن ترتيب المصحف على خلاف ترتيب النزول وذلك معجزة من المعجزات وصدق الله العظيم ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1])[2]

ثم أورد مقالة لولي الدين الملوي، يقول فيها: (قد وهم من قال لا يُطلب للآي الكريمة ؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً).[3]

ثم نجده بعد ذلك ينقل عن العلامة الشاطبي فيقول: (وللعلامة الشاطبي في الموافقات بحث طريف في هذا الموضوع في " المسألة الثالثة عشر " ، حيث يرى أن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تُكوِّن قضية واحدة أي تهدف إلى غرض واحد أو تسعى لإتمامه، وإن اشتملت على عديد من المعاني ، وضرب بذلك مثلاً سورة المؤمنون).[4]

(أما جمع الآيات التي في موضوع واحد وترتيبها حسب النزول مع الوقوف على أسباب النزول ودراستها دراسة منهجية موضوعية كاملة لتعطينا موضوعاً واحداً له وحدة موضوعية متكاملة متناسقة لا تباين فيها ولا اختلاف حتى تلتقي جميع هذه النصوص كلها في مصب واحد مع التعرض لمناسبة الآيات في سورها فلم يتعرض لها أحد من المفسرين القدامى.

إن الأبحاث في موضوعات القرآن يجب أن تتجه لها أنظار العلماء عامة وأئمة التفسير في عصرنا خاصة حتى يقضى على دعاوي عريضة تحمل معها دعائم بطنها ، كقولهم : " ليس في القرآن ترتيب لآية وسورة " وقولم : "إن في القرآن تكرار وإعادة ومخالفة للواقع)[5]

ألا رحم الله الدكتور حجازي ، هذه الصيحة – صيحة الحق – أطلقها في بداية خمسينيات القرن الماضي ، وقد وجدت هذه الدعوة قبولاً ، فانبرى العلماء في أبحاثهم يُظهرون هذا اللون جديداً من ألوان

---

[1] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص15.

[2] المرجع السابق ، ص15.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج1/ ص 15-16 . ط2 ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة .

[4] راجع في ذلك كتاب الموافقات ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت:790هـ) ، تح :عبد الله دراز ، ج 3، ص414 ومابعدها ، دار المعرفة ، بيروت.

[5] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص25، بتصرف.

التفسير، وهو " التفسير الموضوعي " حتى صار علماً يُدرَّس في كليات التخصص في المناهج الشرعية .

ولابد أن أذكر هنا أن مجموعة بحوث الكتاب والسنة بجامعة الشارقة قد خططت لتفسير سور القرآن الكريم كاملةً في كتاب سمَّته " التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم " شارك في تأليفه أصحاب التفسير من مختلف الجامعات والأقطار الإسلامية ، وهو الآن بحمد الله تحت الطبع بعد أن حُكِّم من جهات علمية متخصصة ، وقد شارك كاتب هذا البحث في هذا التفسير ، بل هو عضو في لجنته التنفيذية .

وإبرازاً لمنهجية الدكتور حجازي في كتابه الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم يقول المؤلف رحمه الله: (ولقد التزمت في بحثي هذا أن يكون البحث منهجياً موضوعياً ، ومراكز الإشعاع فيه :

أ. جمع الآيات في موضوع واحد.

ب. ترتيبها حسب النزول .

ج. بحثها في سورتها مع بيان علاقتها بما قبلها وبما بعدها .

د. بحث تسلسل الموضوع في السورة التي ذكر فيها حتى تصل إلى الغاية المنشودة).[1]

– حتمية التكرار في الموضوع الواحد :

يرى الدكتور حجازي أن في القرآن الكريم تكرار ، وهو في حد ذاته من معجزات القرآن. لماذا ؟ يقول : (القرآن الكريم جاء لإصلاح البشرية وإنقاذها من براثن الجهل والعبودية والذلة والخضوع لغير الله ، جاء ليرد للإنسانية كرامتها المفقودة، وللناس حقوقهم المسلوبة في عبادة صنم أو وثن أو الخضوع لوهم أو بشر، والناس مختلفون متباينون، فمنهم الشقي ومنهم السعيد، ومنهم السهل ومنهم الصعب، ومنهم من شرح الله صدره فهو على نور من ربِّه ، ومنهم من ختم الله على بصره ﴿ **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾ [هود:] وما دام الأمر كذلك وهذه حال الناس واختلافهم زماناً ومكاناً وألسنةً وعقولاً وإفهاماً ، ورسالة الإسلام عامة لكل الناس منذ أن صدع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ، وكان علاج حالاتهم في دنياهم وأخراهم يتطلب تنوع العلاج وعرضه بأساليب شتى .

لذ فإن المؤلف – رحمه الله– يعرض لتكرار القصة في القرآن الكريم مثلاً من خلال ما ذكره الإمام الشاطبي ، حيث يقول الشاطبي بعد عرضه لسورة المؤمنون : (فسورة المؤمنين قصة واحدة فى شيء واحد وبالجملة فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى

---

[1] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص 31.

وهارون فإنما ذلك تسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام وتثبيت لفؤاده لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال والجميع حق واقع لا إشكال فى صحته).[1]

ثم بين أنَّ السورة الواحدة وحدة متكاملة لهاهدف واحد، وقد يستتبع أغراضاً مختلفة غالباً ، وكل موضوع ذكر في السورة سواء كانت قصة أو غيرها فهو مناسب كل المناسبة للسورة ولا بد منه، كما أنه لم تكرر القصة في سورة واحدة أبداً.[2]

إن الشيخ حجازي رحمه الله وهو يعرض قضيته " التفسير الموضوعي " تطرق لقضايا كثيرة، منها نزول القرآن منجماً ، ومنها معالجة الموضوع الواحد في أكثر من نص قرآني واحد ، بل في أزمنة متعددة، منها ما نزل بمكة، ومنها ما نزل بالمدينة ومع ذلك هناك الرابط القوي بين هذه الآيات.

يقول –رحمه الله– وهو يتحدث عن سورة الحجر: (ومن العجيب أن الآية 87 ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ مدنية ، ومن أواخر القرآن نزولاً ، ثم هي وُضعت بين آيات مكية ، فهل رأيتها قلقة في موضعها بين أخواتها المكيات؟ هل رأيت تنافراً في السورة كلها مع عناصرها المتعددة المختلفة نزولاً وغرضاً؟ إنك إن قرأت السورة أو سمعتها ما شككت في أنها نزلت مرة واحدة ودفعة واحدة مع أنها متباعدة في زمن النزول).[3]

وهذا ديدن القرآن الكريم في كل سورة ، قد نجد آيات مكية في سورة مدنية ، أو آيات مدنية في سورة مكية.[4]

ثم إننا نجد أن الشيخ المؤلف في سبيل انتصاره للتفسير الموضوعي ببيان الوحدة الموضوعية والتأكيد على نوع من أنواع الإعجاز البياني للقرآن الكريم بعد ذكره للقصة في القرآن ، ساق قصة موسى عليه السلام مثالاً على وحدة الموضوع في مساحة ثمان وسبعين صفحة من صفحات الكتاب – من صفحة 325 إلى صفحة 398– في مشاهد متعددة ومواقف مختلفة الزمان والمكان ، ومع هذا أثبت الوحدة الموضوعية للقرآن .

ثم بعد هذه الرحلة في موضوعات القرآن خرج المؤلف بحقائق علمية في هذا الشأن ، أسوق منها على سبيل المثال مايأتي ، وأترك للقارئ الكريم الرجوع إلى مصادرها لمزيد الاستفادة منها.

---

[1] الموافقات ، مصدر سابق ، ج3،ص419.

[2] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص 53، بتصرف.

[3] المرجع السابق ، ص57، بتصرف.

[4] وقد بينتُ هذا في كتابنا : أهم خصائص السور والآيات المكية ، ص50 وما بعدها ، ط1 ، دار عمار ، عمّان ،1999م .

يقول رحمه الله في رؤيته في آخر الكتاب :

1 - التفسير الموضوعي هو التفسير الذي يجب أن يسود في هذا العصر، وخاصة عند الطلاب المتخصصين.

2 - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، بمعنى أن كل موضوع ذُكر متناثراً في عدة سور يكوِّن وحدة تامة كاملة لاتنافر فيها ولا اختلاف، ولاتباين ولا انفصام.

3 - تعدد الموضوع الواحد وتكراره مع الوحدة الموضعية في القرآن الكريم أمر ضروري؛ لاختلاف الناس المخاطَبين طبعاً وعقلاً وميلاً ، ولأنه آخر الكتب والمهيمن عليها ، ولعموم رسالته ، ولتحقيق المنهج الموضوعي للقرآن الكريم في أداء رسالته.

4 - تعدد الموضوع الواحد وتكراره – مع الوحدة الموضوعية – لون من ألوان الإعجاز ، وفي الحق إنه الإعجاز الذي يرجع أمره إلى القرآن نفسه وذاته ، وهو الذي أعجز جبابرة البلاغة والبيان .

5 - تعدد الموضوع الواحد وتكراره ضرورة ؛ لتعدد دواعيه المختلفة من مخاطبة العقل والعاطفة ، والأمي والعالم ، والمكي والمدني ، مع مراعاة التطور في التشريع والقصة والتوجيه والإرشاد.

6 - الموضوع المتعدد ذِكره في القرآن الكريم ، لم يُذكر تاماً كاملاً في كل سورة ، إذ قد يحتاج إلى بيان في غيرها ، أو تخصيص أو إطلاق أو تحديد. وهو في كل مرة يُعطينا السورة كاملة تامة متناسقة.[1]

---

[1] انظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، ص404 وما بعدها ، بتصرف.

الخاتـــمة :

وبعد هذه الرحلة العلمية مع جهود الدكتور محمد محمود حجازي في إبراز التفسير الموضوع ، نجد أنه – رحمه الله– قد استفرغ جهده في سبيل الانتصار للقرآن الكريم في بيان تناسقه وترابطه ، ووحدة موضوعيته، وهو بحق رائد التفسير الموضوعي بمسماه الحديث هذا، إذ عايش موضوعه من خمسينيات القرن الماضي، وهو يكتب التفسيرالواضح للقرآن الكريم ، ثم يُتوج عمله هذا بإثبات نظرية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

ولا بد أن أن يكون التفسير الموضوعي هو التفسير السائد في هذا العصر .

هذا ما أردت بيانه في هذا البحث المتعلق بجهود الشيخ محمد محمود حجازي رحمه الله تعالى .

والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والله من وراء القصد وهو المستعان...

فهرس المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

1. اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، فضل حسن عباس.
2. أهم خصائص السور والآيات المكية ، ص50 وما بعدها ، ط1 ، دار عمار، عمّان 1999م .
3. التعريفات، الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
4. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا، ط2، دار المنار ، القاهرة.
5. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، صلاح الخالدي ،دار النفائس ،عمّان ،1997م.
6. التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي، دار الجيل ، بيروت ، 1993م.
7. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.
8. فوات الوفيات ، محمد شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس ، ط2، دار صادر، بيروت ، 1974م.
9. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت .
10. مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، ط1 ، دار القلم .
11. مجاز القرآن،عزالدين بن عبد السلام، تح: مصطفى الذهبي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن ،1999م.
12. المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر، دار المعارف ، بيروت .
13. معجم المؤلفين، عمر كحالة ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
14. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي ، دار الجيل ، بيروت .
15. مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، المكتبة العصرية ، بيروت .
16. منهج الدكتور محمد محمود حجازي في التفسير الواضح " رسالة ماجستير " إعداد : عثمان النور محمد، كلية أصول الدين ، جامعة أمدرمان الإسلامية ، 1988م .
17. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تح :عبد الله دراز، دار المعرفة ، بيروت.
18. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ط2 ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة .
19. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ،محمد محمود حجازي، ط1، دارالكتب الحديثة، القاهرة.
20. وفيات الأعيان، شمس الدين احمد ابن خلكان ، تح:إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت.

فهرس الموضوعات :

الموضوع **الصفحة**

ملخص البحث..3-2

المقدمة 5-4

المطلب الأول: ترجمة الشيخ محمد محمود حجازي..10-6

المطلب الثاني : التعريف بمؤلفات الدكتور محمد محمود حجازي...........................16-11

المطلب الثالث : التعريف بالتفسير الموضوعي وبيان أهميته.............................20-17

المطلب الرابع : جهود الدكتور محمد محمود حجازي في التفسير الموضو.عي 21-26

الخاتــمة..27

فهرس المصادر والمراجع..28